

القَصَصُ الدِّينِي  
الحلقة الأولى  
قصص الأنبياء

أمرنا بالعمل

عبد الحميد جودة السحار



بعد انتهاء الطوفان ، ونُزولِ نوحٍ ومن معه من السفينة ، أخذ هؤلاء المؤمنون الذين نَجَوْا معه يتزاوجون ويأتون بأولادٍ وبنات ، حتى كثرَ الناس ، وعَمِرَت الأرض ، ونبتَ الزروع ، وتكاثرَ الحيوانُ والطيرُ ، وعادت الدنيا كما كانت قبلَ الطوفان .

ولما كثرَ الناسُ تفرقوا في الأرض ، وسكنت كل قبيلة في ناحية منها ، ومَلَكَتْها وعَمَرَتْها ؛ ومن هذه القبائل الكثيرة ، كانت هناك قبيلةٌ تسمى « عاد » تسكنُ في جنوبِ بلادِ اليمن ، بالقربِ من البحر ، في وادٍ تحيطُ به المرتفعاتُ الرملية .

وكانت الأمطارُ كثيرةً في هذا الوادى ، لقُربِهِ من البحر ، كما كانت العيونُ تتفجّرُ في أرضِهِ ، وتسيلُ

مياهاها . ولذلك كُثِرَتْ فيه المزارعُ والحقول ،  
والحدائق والمراعى ، وتكاثرَ الحيوانُ والطيور .  
وصارت هذه الجهة كأنها قطعة من الجنة .

وقد بنى أهلها مدينةً جميلةً كانت أحسنَ مدينةٍ في  
الدنيا في هذا الوقت ؛ فقد كانت بيوتُها مرفوعةً  
على أعمدةٍ ضخمة ، وطرقُها فسيحة ، ومُزَيَّنةً  
بالحدائق والمتنزهات ، وكانوا يسمونها : إرم ذات  
العماد ، التي لم يُخلَقْ مثلُها في البلاد .

وكان هؤلاء الناسُ ضخامًا عمالقة ، أقوياء  
الأجسام ، أشداءَ جبارين ، فبنوا الحصون والقلاع ،  
وأسسوا مصانعَ لنحتِ الأحجار ، وعملِ الأسلحة  
وغيرها ، وطغَوْا وتكَبَّرُوا لأنهم أقوياء ، لا يغلبهم  
أحد .

وكانوا يُقيمون علاماتٍ للمرور في الصحراء

المحيطة ببلادهم ، ولكنها كانت علامات كاذبة ،  
ليس غرضهم منها إرشاد الناس المارّين إلى الطرق  
المأمونة ، بل كان غرضهم تضليل الناس ، والضحك  
عليهم ، لتيهوا في الصحراء ، ولا يعرفوا الطريق .  
وكذلك كانوا يخرجون لضرب الناس ، والإغارة  
عليهم ، بوحشية وقسوة فظيعة ، ولا يرحمون أحدا ،  
ولا يشفقون عليه .

ثم نحتوا الأحجار ، وجعلوها أصناما ، وقالوا :  
إنها آلهة : كما كان الكفار من قوم نوح يصنعون ،  
قبل أن يغرقهم الطوفان .

لذلك أرسل الله إليهم سيدنا هودا ، وهو واحد  
منهم ، لينهاهم عن عبادة الأصنام ، ويرشدهم إلى  
عبادة الله ، وينصّحهم بأن يتركوا القسوة  
والوحشية ، ويكونوا رُحماء بالناس ، فلا يؤذوهم ،

وَلَا يُقِيمُوا الْعَلَامَاتِ الْكَاذِبَةَ فِي الطَّرِيقِ ، لِتُضِلَّ  
الْمَسَافِرِينَ وَالضَّحَكِ عَلَيْهِمْ ، وَالسُّخْرِيَّةَ مِنْهُمْ ، أَوْ  
قَتْلَهُمْ وَسَلْبَ مَا مَعَهُمْ .

٢

ذَهَبَ هُودٌ إِلَى قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :  
- يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَطِيعُوا ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا  
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ .  
قَالُوا :

- وَمَا الَّذِي تُرِيدُهُ مِنَّا يَا هُودُ ؟  
قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، أَفَلَا  
تَتَّقُونَ ؟

قَالُوا : أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَنَنْذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ



آباؤنا ؟

قال : يا قوم ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ،  
وَأَعْطَاكُمْ هَذِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ ،  
وَجَعَلَكُمْ أَقْوِيَاءَ الْأَجْسَامِ ، وَأَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ،  
أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ .

قالوا : يا هود : أَلَسْتَ رَجُلًا مِّنَّا ؟ فَلِمَ إِذَا اخْتَارَكَ  
اللَّهُ عَلَيْنَا ؟

قال : وهل تعجبون لأنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ وَاحِدًا  
مِّنْكُمْ ، لِيُرْشِدَكُمْ وَيُعَلِّمَكُمْ ، حَتَّى تَتْرَكُوا الْأَعْمَالَ  
الرَّدِيئَةَ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا ، وَلَا تَتَوَذَّعُوا النَّاسَ ، وَلَا  
تَضْرِبُوهُمْ ، وَلَا تُقِيمُوا الْعَلَامَاتِ الْكَاذِبَةَ لِيَضِلُّوا ،  
وَأَنْتُمْ تَضْحَكُونَ مِنْهُمْ وَتَسْخَرُونَ ؟

قال الملأ الذين كفروا من قومه : إِنَّا لَنَرَاكَ فِي  
سَفَاهَةٍ ، وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ .

قال : يا قوم ليس بي سَفَاهَةٌ ، ولكنى رسولٌ من ربِّ العالمين ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ، وأنا لكم ناصحٌ أمين .

قالوا : يا هودُ ما جئتنا ببَيِّنَةٍ ، وما نحن بتاركي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ، وما نحنُ لك بمؤمنين . إنَّ نقولُ إلا اعتراك بعضُ آلِهَتِنَا بسوءٍ ، ولذلك فانت مُعْتَاضٌ من آلِهَتِنَا ، لأنها أساءت إليك وآذتكَ ، فتريد منا أن نترك عبادتها ، ونعبد إلهك .

قال : إني أشهد الله أنى صادق ، وآلهتكم لا تستطيع أن تضرَّ أو تنفع ، وأنا برىءٌ منها ، لأنها أحجارٌ وليست آلهة ، وأنا أنصحكم فقط ، حتى لا يَغْضَبَ اللهَ عليكم ، فيُهْلِكَكُمْ وَيُعَذِّبَكُمْ .

قالوا : يا هود ، هل تُهَدِّدُنَا بالهلاك والعذاب ؟

فَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى قِتَالِنَا ، وَنَحْنُ قَوْمٌ أَشِدَّاءُ ،  
وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ يَغْلِبُنَا .

قَالَ : يَا قَوْمَ ، إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْكُمْ  
قُوَّةً ، فَهُوَ الَّذِي أَعْطَاكُمْ هَذِهِ الْقُوَّةَ ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى  
أَنْ يَأْخُذَهَا مِنْكُمْ ، وَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ الْهَلَكَ وَالْدمَارَ .

قَالُوا : يَا هُودَ ، اذْهَبْ فَقُلْ لِرَبِّكَ يُرْسِلُ عَلَيْنَا هَذَا  
الْهَلَكَ الَّذِي تُهَدِّدُنَا بِهِ . وَسَنَرَى إِنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَيْنَا .  
اِذْهَبْ يَا رَجُلُ اذْهَبْ ، فَنَحْنُ لَا نُصَدِّقُ هَذَا الْكَلَامَ  
الْفَارِغَ الَّذِي تَقُولُهُ . وَإِنْ كَانَتْ لَدَيْكَ مُعْجِزَةٌ  
فَأُظْهِرْهَا لَنَا ، وَنَحْنُ فِي انْتِظَارِكَ يَا أَخَانَا !



عَرَفَ هُودٌ أَنَّ الْكَفَارَ مِنْ قَوْمِهِ لَنْ يُؤْمِنُوا ؛ لِأَنَّ  
 قُلُوبَهُمْ أَصْبَحَتْ قَاسِيَةً ، وَالنَّعْمَةُ الَّتِي هُمْ فِيهَا قَدْ  
 جَعَلَتْهُمْ يَنْسَوْنَ رَبَّهُمْ ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ أَقْوَى مِنَ اللَّهِ ،  
 وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ !

وَدَعَا هُودٌ رَبَّهُ أَنْ يَنْصُرَهُ عَلَى قَوْمِهِ ، لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا  
 وَضَلُّوا .

عِنْدَ ذَلِكَ حَبَسَ اللَّهُ الْمَطَرَ عَنْ قَوْمِ هُودَ ، وَمَضَتْ  
 مَدَّةٌ طَوِيلَةٌ لَمْ تَنْزِلْ فِيهَا أَمْطَارٌ ، حَتَّى جَفَّ الزَّرْعُ  
 وَمَاتَ ، وَلَمْ تَجِدِ الْأَنْعَامَ وَالْمَوَاشِيَ زُرْعًا تَأْكُلُهُ ،  
 فَهَزِلَتْ وَنَقَصَ وَزْنُهَا .

وَكَانَ الْقَوْمُ يَتَلَهَّفُونَ عَلَى نَزُولِ الْمَطَرِ ، لِأَنَّ الْمِيَاءَ  
 الْقَلِيلَةَ الَّتِي فِي الْعْيُونِ وَالْآبَارِ لَا تَكْفِي إِلَّا لِلشَّرْبِ ،

ولا يزيد منها شيء لرى الأرض والأشجار والحدائق  
والحقول والمراعى ، فذهبوا إلى آلهتهم ، وصلُّوا لها ،  
ودَعَوْا أن ترسل عليهم المطر بعد هذا الجفاف .

وكان هوذا يقول لهم : يا قوم ، آمنوا حتى يرسل  
الله المطر ، ويُنجِّيكُم من الضيق الذى أنتم فيه .  
فيقولون له : لقد دعونا آلهتنا ، وسُترسل لنا المطر  
قريبا ، فاذهب عنا . وإذا كان إلهك الذى تقول عنه  
موجودا ، فليصنع ما يريد !

## ٤

وفى يوم رأوا سحابة سوداء عظيمة ، مقبلة فى  
السماء نحوهم : ففرحوا وهللوا ؛ وقالوا : هذه  
سحابة مُمطرة ألا ترونها سوداء كثيفة ، لقد  
استجابت آلهتنا لدعائنا ، فأرسلت لنا هذه السحابة

العظيمة ، التى ستملاً الوادى ماء ، وتُروى الحقول  
والمراعى ، يا فرحتنا ! يا فرحتنا !  
وراحت جماعةٌ تحرثُ الأرض ، وتبذرُ الحبوب ،  
فى انتظارِ المطرِ الغزير الذى سينزل فيروى الأرض ،  
ويُنبت الزرع .

وراحت جماعةٌ أخرى تقول ليهود : أين إلهك  
يا هود ؟ لقد كنت تقول : ادعوه لينزل عليكم  
المطر . فها هو ذا المطرُ قد أقبل فى هذه السحابةِ  
العظيمة ، وإلهك لم يصنع شيئاً . بل إن آلهتنا هى  
التي أرسلت لنا هذه السحابة الممطرة التى تراها .  
وراحت جماعةٌ ثالثة ترقص وتغنى أمام الآلهة  
وتُصفقُ وتصيح ...

وبينما القوم فى فرحتهم ، هبت رياح شديدة  
عاصفة ، تحطمُ الأشجار ، وتكسرُ الأسوار ، وتكفى



القدور والأواني ، وتحمل الحصى والرمال ، فتضرب  
بها وجوه الكفار ، وتعمى عيونهم ، وكانت ريحا  
باردة تبيس الجلود ، وتجمد الأيدي والأرجل  
والآذان والأنوف .

فصرخ الكفار ، وانكفأوا على وجوههم ، ولكن  
الريح لم ترحمهم . فاستمرت تهب وتدوى سبع  
ليالٍ وثمانية أيام . حتى دمرت كل شىء ، وقتلت  
الناس والحيوان ، وأهلكت الزرع والثمار ، وخربت  
هذه الأراضى العامرة ، فلم يعد فيها إلا جذوع  
الأشجار المهشمة ، وبجانبيها جذوع الكفار يابسة  
محطمة . إلا هودا فقد نجاه الله منها .

وكل شىء قد انتهى وزال ، ولم تبق إلا البيوت  
الصخرية قائمة تقول :

هنا كان يسكن رجال عاد ، أولئك الضخام

الشُّداد ، الذين بنوا إرم ذات العِماد ، التي لم يُخلَقْ  
مثلها في البلاد ، وقد أهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية ،  
سخرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حسوماً ، فترى  
القومَ فيها صرعى ، كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية ، فهل  
ترى لهم من باقية ؟